أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾
أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا
فَضۡلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ
إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٌ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٌۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ
وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًاۚ
وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ
تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾

فهـــــذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل (أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ؟)فتجرأ عليه و قال ما قال(أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ)؟ فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون،و كل هذا منهم، على وجه العناد و الظلم

(بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ)و منهم الذين قالوا تلك المقالة–لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَ لَا كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ بَلْ مُحَمَّدٌ ﷺهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَ هُمُ الْكَذَبَةُ الْجَهَلَةُ الْأَغْبِيَاءُ،

(فِي ٱلۡعَذَابِ)فِي الْكُفْرِ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ(وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ)مِنَ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا-في الشقاء العظيم و الضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب–و أي شقاء و ضلال، أبلغ مـــــن :–

١–إنكارهم لقدرة اللّه على البعث و تكذيبهم و استهزائهم به٢–و جزمهم بأن ما جاءوا به هو الحق فرأوا الحق باطلا و الباطل و الضلال حقا و هدى﴿٨﴾

(أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ)أنهم لو نظروا (إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)فرأوا من قدرة اللّه فيهما ما يبهر العقول، و من عظمته ما يذهل العلماء الفحول و أن خلقهما و عظمتهما و ما فيهما من المخلوقات أعظم من إعادة الناس – بعد موتهم – من قبورهم فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق، بما هو أكبر منه؟ نعم ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به

(إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ)كما فعلنا بقارون(أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ) أو ننزل عليهم قطعًا من العذاب كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم نارًا فأحرقتهم

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ)خلق السماوات و الأرض، و ما فيهما من المخلوقات

(لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ)فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى اللّه، كان انتفاعه بالآيات أعظم

لأن المنيـــــــب:-١-مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته و هماته لربه

٢-و رجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته

٣-فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة و عبرة، لا نظر غفلة غير نافعة ٩

نعم الله على داود و سليمان ١٠-٢٤

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا)مننا على عبدنا و رسولنا(دَاوُۥدَ مِنَّا)عليه الصلاة و السلام، و آتيناه (فَضۡلٗاۖ)من العلم النافع،

و العمل الصالح، و النعم الدينية و الدنيوية،(يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ)و من نعمه عليه، ما خصه به من أمره

تعالى الجمادات كالجبال و الحيوانات من الطيور، أن:-تُؤَوِّب معه، و تُرَجِّع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له

-البخاري ٥٠٤٨ - عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ لَهُ:«يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»(١)

(وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ)كَانَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُدخلَه نَارًا وَ لَا يَضْرِبَهُ بِمِطْرَقَةٍ بَلْ كَانَ يَفْتِلُهُ بِيَدِهِ مِثْلَ الْخُيُوطِ ١٠

(أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ)ليعمل الدروع السابغات وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا مِنَ الْخَلْقِ وَ إِنَّمَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَفَائِحُ

(وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ)و علمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد-يقدره حلقا، و يصنعه كذلك،

ثم يدخل بعضها ببعض-لَا تُدِقّ الْمِسْمَارَ فَيقلَق فِي الْحَلْقَةِ، وَ لَا تُغَلّظه فَيَفْصِمهَا،وَ اجْعَلْهُ بِقَدَرٍ.

{ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ } [الأنبياء: ٨٠]

(أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ)

و لما ذكر ما امتن به عليه و على آله:-

١-أمره بشكره٢-و أن يعملوا صالحا (وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ)٣-و يراقبوا اللّه تعالى فيه بإصلاحه و حفظه من

المفسدات(إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ)فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء.

(وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ)لما ذكر فضله على داود عليه السلام ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه السلام

و أن اللّه سخر له الريح تجري بأمره، و تحمله، و تحمل جميع ما معه،

و تقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة فتسير في اليوم مسيرة شهرين (غُدُوُّهَا شَهۡرٞ)أول النهار إلى الزوال

(وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ)من الزوال إلى آخر النهار(وَأَسَلۡنَا لَهُۥ)سخرنا له (عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ)النحاس

---

١ (مزمارا) صوتا حسنا يشبه ما أعطيه داود عليه السلام من حسن الصوت.

و أصله الآلة و أطلق على الصوت الحسن للمشابهة بينهما]

و سهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني و غيرها.
(وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ)و سخر اللّه الشياطين و الجن لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره،
(وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا)و مَنْ يَعْدِلْ وَ يَخْرُجْ مِنْهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ(نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ)وَ هُوَ الْحَرِيقُ
(يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ)و أعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه(مِن مَّحَٰرِيبَ)
و هو كل بناء يعقد، و تحكم به الأبنية-الْمَحَارِيبُ:-الْبِنَاءُ الْحَسَنُ،وَ هُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ فِي الْمَسْكَنِ وَ صَدْرُهُ.
(وَتَمَٰثِيلَ)صور الحيوانات و الجمادات، من إتقان صنعتهم، و قدرتهم على ذلك و عملهم لسليمان
(وَجِفَانٍ)قِصَاع كبيرة(كَٱلْجَوَابِ)كالأحواض التي يجتمع فيها الماء،-كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام،
لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره ، و يعملون له (وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ) لا تزول عن أماكنها، من عظمها.
فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: (ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ)و هم داود، و أولاده، و أهله، لأن المنة على
الجميع،و كثير من هذه المصالح عائد لكلهم (شُكْرًا)للّه على ما أعطاهم، و مقابلة لما أولاهم.
(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)فأكثرهم، لم يشكروا اللّه تعالى على ما أولاهم من نعمه و دفع عنهم من النقم.
و الشكـــــــر:
١-اعتراف القلب بمنة اللّه تعالى٢-و تلقيها افتقارا إليها٣-و صرفها في طاعة اللّه تعالى
٤-و صونها عن صرفها في المعصية ﴿١٣﴾
(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ)فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة و السلام، كل بنَّاء،
و كانوا قد موهوا على الإنس، و أخبروهم أنهم يعلمون الغيب،و يطلعون على المكنونات،
فأراد اللّه تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى،فمكثوا يعملون على عملهم، و قضى اللّه الموت على
سليمان عليه السلام(مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ)الأَرَضَةُ(تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ)فلقد اتَّكأ على عصاه و هي
المنسأةفصاروا إذا مروا به و هو متكئ عليها، ظنوه حيا، و هابوه. فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما
قيل حتى سُلِطَّت دابةُ الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها،حتى بادت و سقطت و [ضَعُفَتْ]
(فَلَمَّا خَرَّ)فسقط سليمان عليه السلام و تفرقت الشياطين
(تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)و هو العمل الشاق عليهم
فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان،الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه
وَ عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ-تَبَيَّنَتِ الجِنُّ وَ الْإِنْسُ أَيْضًا أَنَّ الجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ
كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ وَ يُوهِمُونَ النَّاسَ ذلك ﴿١٤﴾

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ
بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ
خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا
ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن و مسكنهم بلدة يقال لها « مأرب »(فِي مَسْكَنِهِمْ)

قصة سبأ و سيل العرم ١٥-٢١

محلهم الذي يسكنون فيه(ءَايَةٌ)و الآيـــة هنــــا:-

١-ما أدرَّ اللّه عليهم من النعــم٢-و صرف عنهم من النقم[الذي يقتضي ذلك منهم أن يعبدوا اللّه و يشكروه]

ثم فسر الآية بقوله(جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ)مِنْ نَاحِيَتَي الْجَبَلَيْنِ وَ الْبَلْدَةُ بَيْنَ ذَلِكَ

(وَاشْكُرُوا لَهُ)فأمرهم اللّه بشكر نعمه التي أدرَّها عليهم من وجــــوه كثيـــــرة:-

١-هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم منهما.

٢-أن اللّه جعل بلدهم(بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ) لحسن هوائها، و قلة و خمهاو حصول الرزق الرغد فيها.

٣-(وَرَبٌّ غَفُورٌ)وعدهم اللّه- إن شكروه-أن يغفر لهم وَ يرحمهم لهذا قال:(بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)
لَكُمْ إِنِ اسْتَمْرَرْتُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ﴿١٥﴾

٤-أن اللّه لما علم احتياجهم في تجارتهم و مكاسبهم إلى الأرض المباركة(الشام)

هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها، بغاية السهولة من:- ١-الأمـــن و عدم الخــــوف

٢-و تواصل القرى بينهم و بينها بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل الزاد و المزاد.

و لهـــــذا قال: -(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)

أي: سيرا مقدرا يعرفونه، و يحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه

(سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ)مطمئنين في السير، في تلك الليالي و الأيام، غير خائفين.

و هذا من تمام نعمة اللّه عليهم، أن أمنهم من الخوف.

(فَأَعۡرَضُواْ)١-عـــــــن المنعم و عن عبادته و عَنْ تَوْحِيد اللَّه

٢-و بطـــروا النعمة و شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَ عَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَ هُدْهُدُ سُلَيْمَانَ: -

(فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا)حتى إنهم طلبوا و تمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى

(وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)كفرهـم باللّه و بنعمتــه فعاقبهم اللّه تعالى بهذه النعمة التي أطغتهم فأبادها عليهم،

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ)الْمَاءُ الْغَــــــــزِيرُ–خرب سدهم، و أتلف جناتهم،

*بَعَثَ عَلَى السَّدِّ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ، يُقَالُ لَهَا: "الجُرَذ" نَقَبَتْهُ -

***قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه:وَ قَدْ كَانُوا يَجِدُون فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ سَبَبَ خَرَابِ هَذَا السَّدِّ هُوَ الجُرَذ فَكَانُوا يَرْصُدُونَ عِنْدَهُ السَّنَانِيرَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ،فَلَمَّا جَاءَ الْقَدَرُ غَلَبَتِ الْفَأْرُ السَّنَانِيرَ وَ وَلَجَتْ إِلَى السَّدّ فَنَقَبَتْهُ فَانْهَارَ عَلَيْهِمْ.

و لهـــــــــذا قال:(وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ)شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا

(خَمۡطٍ)وَ هُوَ الْأَرَاكُ، وَ أَكْلَةُ البَرِير و هو مرٌ بشع

(وَأَثۡلٍ)هُوَ الطَّرْفاء هُوَ السّمُر لا ثمر له (وَشَيۡءٍ مِّن سِدۡرٍ قَلِيلٍ)و قليل من شجر النَّبْق كثير الشوك ١٦

وَ ذَلِكَ بِسَبَـــــــــب :-

١-كُفْـــــرِهِمْ وَ شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ٢-وَ تَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ وَ عُدُولِهِمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ

و لهذا قال:(ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ)عَاقَبْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ.

Oو هذا كله شجر معروف و هذا من جنس عملهم.

فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر،

(وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ)و هل نجازي جزاء العقوبة – بدليل السياق –إلا من كفر باللّه و بطر النعمة؟

{وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا }قُرَى الشَّامِ -بَيْتُ الْمَقْدِس.

{قُرًى ظَٰهِرَةً }مُتَوَاصِلَةٍ-بَيِّنَةً وَاضِحَة، يَعْرِفُهَا الْمُسَافِرُونَ-يَقِيلون فِي وَاحِدَةٍ، وَ يَبِيتُونَ فِي أُخْرَى

{وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ }جَعَلْنَاهَا بِحَسْبَ مَا يَحْتَاجُ الْمُسَافِرُونَ إِلَيْه

{سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ }الْأَمْنُ حَاصِلٌ لَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ لَيْلًا وَ نَهَارًا ١٨

{فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا }ربنا اجعل قُرانا متباعدة ليبعد سفرنا بينها فلا نجد قرى عامرة في طريقنا

*حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم و قالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد و يركبوا الخيول و يذوقوا طعم التعب-هذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد و لا رواحل (١)

{وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ }بِكُفْرِهِمْ(فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ)جعلهم اللّه أحاديث يتحدث بهم، و أسمـــــارا للناس، و كان يضرب بهم المثل فيقال: « تفرقوا أيدي سبأ »(٢)-ذهبوا شذر مذر.

Oفكل أحد يتحدث بما جرى لهم-وَ كَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ

(وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ)وَ فَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ الاجْتِمَاعِ وَ الْأُلْفَةِ وَ الْعَيْشِ الْهَنِيءِ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا

*الجزائري:فرقناهم في البلاد كل تفريق حيث لا يرجى لهم عود اتصال أبداً :-

١-فذهب الأوس و الخزرج إلى يثرب"المدينة النبوية"(الأنصار)٢-و ذهب غسان و جذام و لخم إلى الشام ٣-و الأزد إلى عُمان٤-و خزاعة إلى تهامة

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ)على المكاره و الشدائد، يتحملها لوجه اللّه و لا يتسخطها بل يصبر عليها.

(شَكُورٖ)لنعمة اللّه تعالى يُقِرُّ بها، و يعترف، و يثني على من أولاها و يصرفها في طاعته ١٩

(وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ)ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدّق عليهم

(إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ)حيث قال لربه:(فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)

و هذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب و لم يأته خبر من اللّه، أنه سيغويهم أجمعين إلا من استثنى فهؤلاء و أمثالهم، ممن صدق عليه إبليس ظنه، و دعاهم و أغواهم،

(فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)ممن لم يكفر بنعمة اللّه، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس ٢٠

و يحتمل أن قصة سبأ، انتهت عند قوله:–(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ)

ثم ابتدأ فقال:(وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ)على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه.

ثم قال تعالى:–(وَمَا كَانَ لَهُۥ)لإبليس(عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ)حجة-قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: -وَ اللَّهِ مَا ضَرَبَهُمْ بِعَصًا، وَ لَا أَكْرَهَهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَ مَا كَانَ إِلَّا غُرُورًا وَ أَمَانِيَّ دَعَاهُمْ إِلَيْهَا فَأَجَابُوهُ.

(إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ)أي: لـــــــــــــــــــــــــ:–

١–يقوم سوق الامتحان٢–و يعلم به الصادق من الكاذب٣–و يعرف من كان إيمانه صحيحا يثبت عند الامتحان و الاختبار و إلقاء الشبه الشيطانية ممن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة،

---

١ قيل أن المسافة التي يقطعونها بين تلك المدن آمنين من الجوع و الخوف مسيرة أربعة أشهر ذهاباً و إياباً
٢ أي مذاهب سبأ و طرقها

و يزول بأقل داع يدعوه إلى ضده،

٤-فاللّه تعالى جعله امتحانا، يمتحن به عباده،و يظهر الخبيث من الطيب.

(وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)يحفظ العباد و يحفظ عليهم أعمالهم و يحفظ جزاءها فيوفيهم إياها كاملة ﴿٢١﴾

شبه و مآل المشركين يوم القيامة ٢٢-٣٣

(قُلِ)يا أيها الرسول للمشركين باللّه غيره من المخلوقات التي لا تنفع و لا تضر، ملزما لهم بعجزها،

و مبينا لهم بطلان عبادتها:- (ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ)زعمتموهم شركاء للّه، إن كان دعاؤكم ينفع،

فـ(لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ)على وجه الاستقلال و لا على وجه الاشتراك

(وَمَا لَهُمْ)لتلك الآلهة الذين زعمتم (فِيهِمَا)في السماوات و الأرض(مِن شِرْكٍ)لا شرك قليل و لا كثير

(وَمَا لَهُۥ)للّه تعالى الواحد القهار(مِنْهُم)من هؤلاء المعبودين(مِّن ظَهِيرٍ)معاون و وزير يساعده على الملك ﴿٢٢﴾

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى
أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا
ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ
بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ
ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾

فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها بقوله:-(وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ)

فهذه أنواع التعلقات التي يتعلق بها المشركون بأندادهم و أوثانهم،مـــــن:-البشر و الشجر و غيرهم قطعها اللّه و بيَّن بطلانها تبيينا حاسما لمواد الشرك قاطعا لأصوله

(حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ)أولا:-يحتمل أن الضمير في هذا الموضع يعود إلى المشركين:-

لأنهم مذكورون في اللفظ و القاعدة في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور

و يكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، و فزع عن قلوب المشركين

أي:زال الفزع و سئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا و تكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل أنهم يقرون أن ما هم عليه من الكفر و الشرك باطل

(قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ)و أن ما قال اللّه و أخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل و علموا أن الحق للّه،و اعترفوا بذنوبهم

(وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ)بذاته فوق جميع مخلوقاته و قهره لهم و علو قدره بما له من الصفات العظيمة جليلة المقدار(ٱلۡكَبِيرُ) في ذاته و صفاته.

و مـــــن علـــــوه:-أن حكمه تعالى، يعلو، و تذعن له النفوس حتى نفوس المتكبرين و المشركين.

و هذا المعنى أظهر و هو الذي يدل عليه السياق

ثانيا:-و يحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة:-و ذلك أن اللّه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة،

فصعقوا، و خروا للّه سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه اللّه من وحيه بما أراد و إذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، و زال الفزع فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض:قال الحق، إما إجمالا لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا و إما أن يقولوا: قال كذا و كذا للكلام الذي سمعوه منه و ذلك من الحق.فيكون المعنى على هــــــــذا:–

أن المشركين الذين عبدوا مع اللّه تلك الآلهة التي وصفنا لكم عجزها و نقصها و عدم نفعها بوجه من الوجوه كيف صدفوا و صرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم العلي الكبير الذي –من عظمته و جلاله–أن الملائكة الكرام و المقربين من الخلق يبلغ بهم الخضوع و الصعق عند سماع كلامه هذا المبلغ و يقرون كلهم للّه أنه لا يقول إلا الحق.فما بال هؤلاء المشركين استكبروا عن عبادة من هذا شأنه و عظمة ملكه و سلطانه فتعالى العلي الكبير عن شرك المشركين و إفكهم و كذبهم.

البخاري ٤٨٠٠ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ﷛يقولُ: إنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَ مُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَ وَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَ بَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَ رُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَ كَذَا: كَذَا وَ كَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ "

❍يأمر تعالى نبيه محمدا ﷺ أن يقول لمن أشرك باللّه و يسأله عن حجة شركه:–

(قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)فإنهم لا بد أن يقروا أنه اللّه، و لئن لم يقروافـــــــ(قُلِ ٱللَّهُۖ) فإنك لا تجد من يدفع هذا القول فإذا تبين أن اللّه وحده الذي يرزقكم من السماوات و الأرض و ينزل لكم المطر و ينبت لكم النبات و يفجر لكم الأنهار و يطلع لكم من ثمار الأشجار و جعل لكم الحيوانات جميعها، لنفعكم و رزقكم فلِم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا، و لا يفيدكم نفعا؟

(وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)
هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَ النَّشْرِ(وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مُبْطِلٌ وَ الْآخَرُ مُحِقٌّ)

(أَوۡ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)منغمرة فيه، و هذا الكلام يقوله من تبين له الحق و اتضح له الصواب و جزم بالحق الذي هو عليه، و بطلان ما عليه خصمه.

(قُل)لهم (لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) كل منا و منكم له عمله أنتم

(لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا)معناه التبرى منهم–عن إجرامنا و ذنوبنا لو أذنبنا(وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) و نحن لا نسأل عن أعمالكم فليكن المقصود منا و منكم طلب الحقائق و سلوك طريق الإنصاف

(قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا)يحكم بيننا حكما يتبين به الصادق من الكاذب و المستحق للثواب من المستحق للعقاب(ثُمَّ يَفۡتَحُ)يقضي (بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ)بالعدل(وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ)الحاكم بين خلقه الۡعَادِلُ (ٱلۡعَلِيمُ)الۡعَالِمُ بِحقَائِقِ الۡأُمُورِ(قُلۡ)لهم يا أيها الرسول و من ناب منابك:-

(أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ) أي: أين هم؟ و أين السبيل إلى معرفتهم؟و هل هم في الأرض أم في السماء؟

(شُرَكَآءَۖ)أَروْنِي هَذِهِ الآلِهَةَ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا لِلَّهِ أَنْدَادًا و صيَّرتموها لَهُ عدْلا.

و هذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه و لهذا قال: (كَلَّاۚ)ليس للّه شريك و لا ند و لا ضد.

(بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ)الذي لا يستحق التأله و التعبد إلا هـــــو(ٱلۡعَزِيزُ)الذي قهر كل شيء فكل ما سواه فهو مقهور مسخر مدبر.(ٱلۡحَكِيمُ)فى أقواله و أفعاله و تدبير أمور خلقه.

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ)يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله ﷺ

*البخاري ٣٣٥ -قال النبى ﷺ......وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "

إلا (بَشِيرٗا)ليبشر جميع الناس بثواب اللّه و يخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك -تُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَكَ بِالْجَنَّةِ

(وَنَذِيرٗا)وَ تُنْذِرُ مَنْ عَصَاكَ بِالنَّارِ–و ينذرهم عقاب اللّه–و يخبرهم بالأعمال الموجبة له

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)كَقَوْلِهِ {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[يُوسُفَ: ١٠٣]

❍أي: ليس لهم علم صحيح بل إما جهال أو معاندون لم يعملوا بعلمهم فكأنهم لا علم لهم.

و من عدم علمهم:-جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول موجبا لرد دعوته.فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب، الذي أنذرهم به فقال:-(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

(قُل)لهم–مخبرا بوقت وقوعه الذي لا شك فيه:-(لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ)

فاحذروا ذلك اليوم و أعدوا له عدته.

رفض المشركين الايمان بالقرآن و حوار الضالين و المضلين يوم القيامة ٣١-٣٣

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ)نصدّق (بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ)تَقَدَّمَه من التوراة و الإنجيل و الزبور فقد كذَّبوا بجميع كتب الله.

لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب لا بد من وقوعه عند حلول أجله ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم(وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ)محبوسون (عِندَ رَبِّهِمۡ)للحساب لرأيت أمرا عظيما و هولا جسيما، (يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ)كل يُلقي بالعتاب على الآخر لرأيت شيئًا فظيعاً

فـــــ(يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ)و هم الأتباع (لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ)و هم القادة:(لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ)

و لكنكم حُلْتُم بيننا و بين الإيمان و زينتم لنا الكفر ان، فتبعناكم على ذلك و مقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ
٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ
وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦
وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧
وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ)مستفهمين لهم و مخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم:–

(أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ)أى:بقوتنا و قهرنا لكم.

(بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ)مختارين للإجــرام لستم مقهورين عليه و إن كنا قد زينا لكم فما كان لنا عليكم من سلطان ٣٢

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ)
بل تدبيركم الشر لنا في الليل و النهار هو الذي أوقعنا في التهلكة

(إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ)إذ تُحَسِّنون لنا الكفر و تدعوننا إليه

(وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ)نُظَرَاءَ وَ آلِهَةً مَعَهُ و تقيموا لنا شُبَهًا و أشياءَ من الْمُحَالِ تُضِلُّونَا بِهَا

(وَأَسَرُّواْ)و أسرَّ كُلٌّ من الفريقين(ٱلنَّدَامَةَ)الحسرة (لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ)حين رأوا العذاب الذي أُعِدَّ لهم

(وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ)وَ هِيَ السَّلَاسِلُ الَّتِي تَجْمَعُ أَيْدِيهِمْ مَعَ أَعْنَاقِهِمْ

(ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ)يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى –

(هَلۡ يُجۡزَوۡنَ)فى هذا العذاب و النكال و تلك الأغلال الثقال

طبيعة المترفين و جوابهم لرسلهم ٣٤-٣٥

﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾من الكفر و الفسوق و العصيان(٣٣)

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل أنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ﷺ و أن اللّه إذا أرسل رسولا في قرية من القرى

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾وَ هُمْ أُولُو النِّعْمَةِ وَ الْحِشْمَةِ وَ الثَّرْوَةِ و الرياسة المنغمسون في اللذات و الشهوات

﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾لَا نُؤْمِنُ بِهِ وَ لَا نَتَّبِعُهُ-كفر به مترفوها و أبطرتهم نعمتهم و فخروا بها(٣٤)

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾أي:-ممن اتبع الحق ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾أي:-أولا لسنا بمبعوثين فإن بعثنا فالذي أعطانا الأموال و الأولاد في الدنيا سيعطينا أكثر من ذلك في الآخرة و لا يعذبنا(٣٥)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾فأجابهم اللّه تعالى بـأن :-
بسط الرزق و تضييقه ليس دليلا على ما زعمتم-فإن الرزق تحت مشيئته إن شاء بسطه لعبده و إن شاء ضيقه.

سنة الله فى عباده ٣٦-٣٩

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾أن ذلك اختبار لعباده لأنهم لا يتأملون (٣٦)

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا﴾و ليست الأموال و الأولاد بالتي تقرب إلى الله

﴿زُلْفَىٰٓ﴾قربى-و تدني إليه

*مسلم:-(٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ، وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ»

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾و إنمـــــا الذي يقرب منه زلفـــــى:-

١-الإيمـــــان بما جاء به المرسلون ٢-و العمـــــل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان

﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾فأولئك لهم الجزاء عند اللّه تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا اللّه

﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾أي:فى المنازل العاليات المرتفعات جدا -ساكنين فيها مطمئنين

﴿ءَامِنُونَ﴾من المكدرات و المنغصات لما هم فيه من اللذات و أنواع المشتهيات(٣٧)

و ﴿ءَامِنُونَ﴾من الخروج منها و الحزن فيها﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾
و أما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا و لرسلنا و التكذيب

فـــ﴿أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾جَمِيعُهُمْ مَجْزِيون بِأَعْمَالِهِمْ فِيهَا بِحَسْبِهِمْ(٣٨)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى﴾ثم أعاد تعالى أنه ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ليرتب عليه قوله:

(وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ)نفقة واجبة أو مستحبة على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك

(فَهُوَ)تعالى(يُخۡلِفُهُۥۖ)فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل و في الآخرة بالثواب

*فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق بل وعد بالخلف للمنفق الذي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر

*البخارى:٤٦٨٤ -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ

(وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)فاطلبوا الرزق منه و اسعوا في الأسباب التي أمركم بها–أما خلق الرزق فهو لله

وحده ٣٩

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ
أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

الايمان بالبعث ٤٠-٥٤

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا)أي: العابدين لغير الله و المعبودين من دونه من الملائكة.

(ثُمَّ يَقُولُ)الله(لِلْمَلَٰٓئِكَةِ)على وجه التوبيخ لمن عبدهم(أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ)فتبرأوا من عبادتهم﴿٤٠﴾

(قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ) أي: تنزيها لك و تقديسا، أن يكون لك شريك أو ند(أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ)
نَحْنُ عَبِيدُكَ وَ نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ–فنحن مفتقرون إلى ولايتك مضطرون إليها فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟

(بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ)أي: الشياطين، يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا فيطيعونهم بذلك.

و طاعتهم هـــــــي:– عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

(أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ)أي مصدقون للجن منقادون لهم لأن الإيمان هو التصديق الموجب للانقياد﴿٤١﴾

فلما تبرأوا منهم قال تعالى مخاطبا لهم(فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا)
تقطعت بينكم الأسباب و انقطع بعضكم من بعض

(وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟)المشركون بالكفر و المعاصي–بعد ما ندخلهم النار–(ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ)
فاليوم عاينتموها و دخلتموها جزاء لتكذيبكم و عقوبة لما أحدثه ذلك التكذيب من عدم الهرب من أسبابها﴿٤٢﴾

(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ)

أى:هذا قصده، حين يأمركم بالإخلاص للّه لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون و تمشون خلفهم،

فردوا الحق، بقول الضالين، و لم يوردوا برهانا، و لا شبهة فأى شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين

باتباع الحق فادَّعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟

و هذه السفاهة، و رد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد،

فـــإذا هذا مآلـــه لا يـــرد إلا بأقوال الضالين مـــن:-

المشـــركين و الدهرييـــن و الفلاسفـــة و الصابئيـــن و الملحـــــدين في دين اللّه

المارقين فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة.

و لما احتجوا بفعل آبائهم و جعلوها دافعة لما جاءت به الرسل طعنوا بعد هذا بالحق

(وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى)القرآن-أى:كذب افتراه هذا الرجل الذي جاء به.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)ظاهر بيِّن لكل أحد تكذيبا بالحق ٤٣

(وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا)حتى تكون عمدة لهم

(وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ)

حتى يكون عندهم من أقواله و أحواله ما يدفعون به ما جئتهم به فليس عندهم علم، و لا أثارة من علم٤٤

ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين قبلهم فقال:-

(وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟)أى:ما بلغ هؤلاء المخاطبون (مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ)أَيْ مِنَ الْقُوَّة فِي الدُّنْيَا.

(فَكَذَّبُوا۟)أي:الأمم الذين من قبلهم(رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)فَكَيْفَ كَانَ نَكَالِي وَ عِقَابِي وَ انْتِصَارِي لِرُسُلِي؟

أن منهم من أغرقه و منهم من أهلكه بالريح العقيم و بالصيحة و بالرجفة و بالخسف بالأرض و بإرسال

الحاصب من السماء

فاحذروا يا هؤلاء المكذبون أن تدوموا على التكذيب فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، و يصيبكم ما أصابه٤٥

(قُلْ)يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين المعاندين المتصدين لرد الحق و تكذيبه و القدح بمن جاء به:

(إِنَّمَآ أَعِظُكُم)أمركم(بِوَٰحِدَةٍ)أى:بخصلة واحدة أشير عليكم بها و أنصح لكم في سلوكها

و هي طريق نصف لست أدعوكم بها إلى اتباع قولى و لا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك،

و هى(أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ)تَقُومُوا قِيَامًا خَالِصًا لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ هَوًى وَ لَا عَصَبِيَّةٍ

أى:تنهضوا بهمة و نشاط و قصد لاتباع الصواب و إخلاص للّه مجتمعين و متباحثين في ذلك

و متناظرين و فرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

(ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ)فإذا قمتم لله، مثنى و فرادى استعملتم فكركم و أجلتموه

و تدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون فيه صفات المجانين من كلامه و هيئته و صفته؟

أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

(قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ)

ما هو ﷺإلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم و هو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريده لكم.

*البخاري٤٨٠١-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺالصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:«يَا صَبَاحَاهْ»فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا:مَا لَكَ؟ قَالَ:«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟»قَالُوا:بَلَى قَالَ:

«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ:تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}٤٦

(قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ)على اتباعكم للحق(فَهُوَ لَكُمۡۖ)أي:فأشهدكم أن ذلك الأجر–على التقدير–أنه لكم

(إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ)إِنَّمَا أَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ)أي:محيط علمه بما أدعو إليه

فلو كنت كاذبا لأخذني بعقوبته و شهيد أيضا على أعمالكم سيحفظها عليكم ثم يجازيكم بها.

و لما بين البراهين الدالة على صحة الحق، و بطلان الباطل أخبر تعالى أن هذه سنته و عادته أن يقذف

(بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)لأنه بين من الحق في هذا الموضع،

و رد به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، و آية للمتأملين.

(قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ)الباطل بحجج من الحق فيفضحه و يهلكه

(عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ)

الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الوساوس و الشبه و يعلم ما يقابل ذلك و يدفعه من الحجج٤٨

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ
وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ
وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾
وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾
وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

(قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ)ظهر و بان و صار كالشمس

(وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ)فلم يبق للباطل شيء يبدؤه و يعيده–اضمحل و بطل أمره و ذهب سلطانه﴿٤٩﴾

(قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ)و لما تبين الحق بما دعا إليه الرسول و كان المكذبون له يرمونه بالضلال أخبرهم بالحق و وضحه لهم و بين لهم عجزهم عن مقاومته و أخبرهم أن رميهم له بالضلال ليس بضائر الحق شيئا و لا دافع ما جاء به.و أنه إن ضل – و حاشاه من ذلك– لكن على سبيل التنزل في المجادلة –

(فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِي)فإنما يضل على نفسه أى:–ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره.

*كَقَوْلِه:{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الْأَنْبِيَاء: ١٨]

وَ لِهَذَا لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لَمْ يَبْقَ لِلْبَاطِلِ مَقَالَةٌ وَ لَا رِيَاسَةٌ وَ لَا كَلِمَةٌ.

*البخاري ٢٤٧٨ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺقَالَ:-دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺمَكَّةَ(١)وَ حَوْلَ الكَعْبَةِ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَ سِتُّونَ نُصُبًا فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَ جَعَلَ يَقُولُ:-" {جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ } [الإسراء: ٨١] " الآيَةَ(٢)

(وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ)فليس ذلك من نفسي و حولي و قوتي(وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ)و إنما هدايتى(فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ) فهو مادة هدايتى كما هو مادة هداية غيرى

إن ربي (سَمِيعٞ)للأقوال و الأصوات كلها(قَرِيبٞ)ممن دعاه و سأله و عبده.

*البخاري ٤٢٠٥ -عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ:لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ لنَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَ لاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَ هُوَ مَعَكُمْ»وَ أَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَ أَنَا أَقُولُ:-

---

١يَوْمَ الْفَتْح

٢ (نصبا) صنما وقيل كل حجر نصب و عبد أو عظم وقيل غير ذلك.(يطعنها) من الطعن و هو الضرب و الوخز.(زهق) هلك واضمحل.(الآية) الإسراء ٨١. و تتمتها {إن الباطل كان زهوقا}

لاَ حوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي:«يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ»قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:«أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي،قَالَ:«لاَ حَوْلَ وَ لاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»(٣) ٥٠

(وَلَوْ تَرَىٰٓ)أيها الرسول و من قام مقامك حال هؤلاء المكذبين(إِذْ فَزِعُوا۟)حين رأوا العذاب، و ما أخبرتهم به الرسل، و ما كذبوا به لرأيت أمرا هائلا و منظرا مفظعا و حالة منكرة و شدة شديدةو ذلك حين يحق عليهم العذاب.(فَلَا فَوْتَ)فليس لهم عنه مهرب و لا فوت

(وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)ليس بعيدا عن محل العذاب بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار.
لَمْ يَكُونُوا يُمنعون فِي الْهَرَبِ بَلْ أُخِذُوا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ.أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هُوَ الطَّامَّةُ الْعُظْمَى وَ إِنْ كَانَ مَا ذُكِرَ مُتَّصِلًا بِذَلِكَ ٥١

(وَقَالُوٓا۟) في تلك الحال:(ءَامَنَّا)
يَقُولُونَ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ و صدقنا ما به كذبنا و ذلك يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ)تناول الإيمان-وَ قَدْ بَعُدُوا عَنْ مَحَلِّ قَبُولِه مِنْهُمْ {وَ صَارُوا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ}
وَ هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ لَا دَارُ الِابْتِلَاءِ فَلَوْ كَانُوا آمَنُوا فِي الدُّنْيَا لَكَانَ ذَلِكَ نَافِعَهُمْ وَ لَكِنْ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى قَبُولِ الْإِيمَانِ كَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِ الشَّيْءِ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ مِن بَعِيدٍ.

(مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ)قد حيل بينهم و بينه و صار من الأمور المحالة في هذه الحالة فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان لكان إيمانهم مقبولا ٥٢

(وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ)يرمون(بِٱلْغَيْبِ)بالظن*كقوله{رَجْمًا بِالْغَيْبِ} [الْكَهْفِ: ٢٢]
فَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ. وَ تَارَةً يَقُولُونَ: كَاهِنٌ.وَ تَارَةً يَقُولُونَ: سَاحِرٌ.وَ تَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ.إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، وَ يُكَذِّبُونَ بِالْغَيْبِ وَ النُّشُورِ وَ الْمَعَادِ وَ يَقُولُونَ: {إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}
**قَالَ قَتَادَةُ: يَرْجُمُونَ بِالظَّنِّ، لَا بَعْثَ وَ لَا جَنَّةَ وَ لَا نَارَ.

(مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ)بقذفهم الباطل ليدحضوا به الحق–و لكن لا سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامي من مكان بعيد إلى إصابة الغرض(((عن اصابة الحق)))-
فكذلك الباطل من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه

و إنما يكون له صولة وقت غفلة الحق عنه فإذا برز الحق و قاوم الباطل قمعه ٥٣

(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :-يَعْنِي: الْإِيمَانُ-وَ قَالَ السُّدِّي:-التَّوْبَةُ.

٣ (حول) قدرة على دقة التصرف في الأمور. (كنز من كنوز الجنة) أي أجرها مدخر لقائلها والمتصف بها كما يدخر الكنز وهو المال المجموع المحرز]

○من الشهوات و اللذات و الأولاد و الأموال و الخدم و الجنود قد انفردوا بأعمالهم و جاءوا فرادى كما خلقوا و تركوا ما خولوا وراء ظهورهم

(كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ)من الأمم السابقين حين جاءهم الهلاك حيل بينهم و بين ما يشتهون

(إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ)فى الدنيا فى شَكٍّ من أمر الرسل و البعث و الحساب

(مُّرِيبٍ)محدث الريبة و قلق القلب فلذلك لم يؤمنوا و لم يعتبوا حين استعتبوا ٥٤